

أقا صيص لغوية

قَطَّ وَبَنَاتَهَا

الأستاذ عبد المحر فاضل
دار البيضاء

عندما تقطع غصنا أو خشبة أو عظما بضربة فأس أو ساطور أو سيف تسمع للقطع صوتا لا اظنك مستطيعا ان تحكيه بأحسن من لفظة (قَط) مع سرعة النطق والتأكيد على الطاء . والاغلب ان اللفظة ليست عريقة جدا في القدم فالظاهر انها من العصر النحاسي لاننا نستبعد ان يكون لدى اهل العصر الحجري اداة متينة من الصوان أو نحوه تصلح للقطع على هذه الصورة .

والكلمة ما تزال موجودة في الانكليزية بنفس صيغتها العربية تقريبا : (cut) لكنها لا تملك دقة اللفظة العربية فهي ائبه بالصورة الضبابية منسوخة على صورة حادة واضحة الملامح . وقد زادت ضبابية وابتعادا عن الاصل في الفرنسية في (couteau) سكين ، وزادت ضبابية وبعدا عن هذه ايضا في (coupe) يقطع .

لكن رجاءنا الى القاريء هو الا يتعجل بلوم الفرنسيين والانكليز وغيرهم من الامم التي تظهر آثار كلمتنا العربية (قَط) هذه في لغاتهم محرفة عن نطقها الاثيل بعد اجيال كثيرة وتقلب احداث متنوعة في اقطار مختلفة ، فان هذا يسير جدا اذا قيس بما جرى على الكلمة من تحريف وتطوير في العربية نفسها على السنة الاعريين انفسهم .

وتقول نظرية تكاد تكون مجمعا عليها ان الانسان الفرد في تعلمه الكلام منذ الطفولة حين يبدأ بالتأناة والباأة واللغفة انما يكرر طفولة البشرية منذ بداية محاولتها التخاطب بالالفاظ . وكل من راقب

قبل كل شيء دعونا نتفاهم على العنوان ، فلا بد ان القاريء يظن فيه خطأ مطبعيا ، لانه يجب ان يكون في نظره « قَطَّ وَبَنَاتِهِ » او « قَطَّة وَبَنَاتِهَا » . لكن موضوعنا ليس خاصا بالقطط بل بفعل قَطَّ ، وتقديره : كلمة قَطَّ وَبَنَاتِهَا ، على غرار « كان واخوانها » .

وليس همنا سرد قصة (قَطَّ) وكيف توالت بقدر ما هو سرد قصة « اللغة » وكيف نشأت ونمت في احد قطاعاتها ، نسردها من خلال قصة قَطَّ وَبَنَاتِهَا وحفيداتها .

سوف يستغرب القاريء - وعسى ان يكون استفراجه كبيرا - اذا قلنا له ان السبب الاساسي الخصب في نمو اللغة هو خطأ البشر في نطق الالفاظ اولا واستعمالهم لها في غير معانيها ثانيا .. وسنوضح الآن هذه النظرية التي كنا نوهنا بها في مناسبات لغوية سابقة .

ان المتفق عليه الآن لدى اللغويين المحدثين هو ان اللغة نشأت اولا من محاكاة الاصوات الطبيعية ثم توسع استعمالها حتى تكونت منها اللغة برمتها ، وهي النظرية التي قال بها بعض اللغويين العرب الاقدمين والتي ذكرها ابن جني لكن باستعمال تعبير محاكاة « الاصوات المسموعات » بدلا من التعبير الاوربي « الاصوات الطبيعية » ، وهو المصيب لان الاصوات التي حاكها الانسان فتكونت منها اللغة ليست كلها من الاصوات الطبيعية بل ان بعضها من الاصوات الاصطناعية اي التي يحدتها الانسان ، ومنها بل اهمها طرا صوت القطع الذي نحن بصددده .

ومن بنات (قص) نذكر : قصب ، قصد ، قصر ،
قصع ، قصف ، قصل ، قضم .

ومن بنات (جد) نذكر : جذب ، جذر ، جذع ،
جدل ، جدم ... الى آخر ما هنالك .

وليسترح خاطر القاريء فاني لا انتوي ان
اسرد عليه مزيدا من بنات قط وحفيداتها ، فان
مجرد سرد الالفاظ لا متعة فيه ولا زيادة معرفة لانها
سرعان ما تنسى ، لكني شخصيا اردت ذات يوم امتاع
نفسي بتدوين ما يعن لي من الالفاظ التي نشأت من
قط وبناتها وحفيداتها وبنات حفيداتها - دون امعان
في التقصي - ثم عدت فأحصيتها فاذا بها تربو على
(450) كلمة . ولو اني استقصيت ما لكل واحدة من
هاته الكلمات الاربعمائة والخمسين من بنات واخوات
وحفيدات لبلغ تعدادها الالوف . ويبدو لي ان كلمتنا
البدائية (قط) هذه اخصب كلمة في المعجم العربي
كنه ، اي في معاجم اللغات البشرية قاطبة .

ان الاصوات الطبيعية ، او بتعبير اصح
الاصوات المسموعة على قول ابن جني - التي حاكها
البشر الاوائل قليلة نسبا ، فالحروف العربية
الثمانية والعشرون لو استعملت كلها في تأليف
الالفاظ الثنائية لبلغ عدد الالفاظ (784) اي (حاصل
28 x 28) . والواقع ان الالفاظ الثنائية في العربية
اقل من ذلك بكثير لان بعض الصيغ الممكنة تأليفها
بالمزاوجة لم يسمع في العربية مثل : ذض ، ظظ ،
سض ، زض ، رل ، لر ، غغ ، غخ ... ومثل هذا
ايضا تكرار الحروف : تت ، ثث ، خخ ، رر ..

فكيف اذن تألف من تلك الالفاظ القليلة هذا
المعجم العربي الضخم الذي يضم نحو مئة الف كلمة
مستقلة بالاضافة الى الاشتقاقات المتولدة منها ؟
انه تكون على الطريقة التي المعنا اليها والتي سنعرض
لها بشيء من الايضاح ، وهي ان الافراد اخطاوا في
نطق الكلمات وبذلك تولدت المترادفات اول الامر ،
كالالفاظ التي مرت بنا ومعظمها يعني القطع او ما
يقاربه .

لكن المعجم ليس خزانة مترادفات وحسب
وانما هو كنز معان ايضا ، فكيف تولدت المعاني الكثيرة
من المعاني البدائية القليلة ؟ المعاني ايضا تكونت عن
طريق الخطأ على الاكثر وعن طريق المجاز المقصود على
الاقل . وصفوة القول ان الخطأ في النطق سبب

الاطفال في تعلمهم الكلام قد لاحظ ولا شك ان الطفل
من دابه ان يحرف الالفاظ بابدال حروفها او ادغامها .
وقد كان من حسن حظ البشرية ان الاطفال لا
يتفقون كلهم في ابدال الحروف وتشويه الالفاظ
فاكل منهم طريقته في ذلك حتى الاخوة يختلفون في
الكلام فلا يفهم عن احدهم في المرحلة الاولى من حياته
اللغوية غير امه . فهكذا كان البشر اول امرهم
اذا القيت اليهم كلمة نطقها كل منهم بطريقته فيتعلمها
كل ولد من ابويه ثم هو يتعلم من لداته الصيغ التي
تعلمها كل منهم من ابويه - وهكذا تكونت لدى الجيل
الجديد صيغ كثيرة للكلمة الواحدة ، وهذه احدى
طرق تكون المترادفات .

فلهذا السبب ما زال العرب يختلفون حتى اليوم
في نطق بعض الحروف . ولناخذ منها القاف في
كلمة (يقف) فبعض العرب المعاصرين ينطقها
(يواف) ، وبعضهم (يوكف : yogaf)
وبعضهم (يوجف) ، وبعضهم في جنوبي العراق
(يوجب : yochib) وفي الموصل ينطقونها
(يقف) ، والموصل هي المكان الوحيد الذي ينطق
اهله القاف مثل الفصحى كقاعدة عامة فيما يظهر ،
حتى لقد صار مواطنوهم العراقيون الآخرون يتندرون
على الموصلية بتسميته (مصلاوي قيقو) . ولو
اجتمعت فئات تمثل مختلف هذه اللهجات في صعيد
واحد لشاعت بينهم جميع هذه الصيغ واصبحت
مرادفات لصيغة (يقف) .

ولنتظر الآن ما فعل الاعراب الاقدمون بكلمة
قط ، فقد افتنوا في تحريفها بابدال الحرف الاول
او الثاني منها فنطقها بعضهم قث ، وبعضهم قث ،
وبعضهم قد ، وقد ، وقز ، قس ، قش ، قص ، قض .

ثم هم ابدلوا الحرف الاول من الالفاظ المولدة
فظهرت الى الوجود صيغ : جت ، جث ، جد ، جذ ،
جز ، جس ، جش ، حت ، حث ، حد ، حذ ،
جز ، حس ، حش ، حض ، حظ ، حط .. خت ،
خد ، خذ ، خز ، خش ، خص ، (دارجة) ،
خط ...

وهذه الالفاظ نسميها «اخوات قط» لانها مثلها
تتكون من صوتين . ولكل من هذه الاخوات بنات
تكونت باضافة صوت ثالث اليها . فمن بنات (قط)
نذكر : قطب ، قطر ، قطع ، قطم ، قطل .

تعد الالفاظ للمعنى الواحد ، ثم صارت الالفاظ الزائدة تتوزع على المعاني التي لا الفاظ لها .

فالعادة عندما تكثر المترادفات لمعنى عام ان يتخصص بعضها في انواع خاصة من ذلك المعنى العام . مثال ذلك : قطف ، قص ، قضم ، فصل ، جدع ، خضم ، قضم ... فكل هذه الالفاظ يعني القطف لكن كلا منها يعني نوعا خاصا من القطف ، كقطف الثمرة من شجرتها ، او قطف الثوب ، او الظهر - بفتح الظاء ، او الشعير الاخضر يقصل لعلف الدواب ، او الانف ، او قرص الطعام اليابس بالاضراس ، او قطع القشاء مثلا بمقدم الاسنان ...

وليست هذه الالفاظ قاصرة على هذه المعاني وحدها وانما ذكرنا منها ما هو الاغلب في استعمالها اليوم ، والا فهي في المعجم تعني القطف بوجه عام ايضا .

ومن جملة انواع التخصص نذكر على سبيل المثال (جزل) التي كانت تعني القطف في الاصل ثم صارت تعني (اعطي) كأنما قصدوا اقتطع له حصته من ماله ، وهو شبيه بقولهم « خضم له من ماله » اي اعطاه .. وما اكثر ما ولدوا معنى العطاء من الفاظ القطف . ثم صار قولهم « اجزل العطاء » يعني اوسع واكثره ، ثم تخصصت كلمة (الجزيل) على عهدنا بالشكر فقالوا : الشكر الجزيل . وقلما يستعملها ناشتتا في غير هذا المعنى ، وما ابعده عن المعنى الاصيل .

فهذا مثال من تطور بعض المعاني وتخصصها . ولناخذ مثالا آخر . لتتصور فريقا من العرب من الزراع - مع العلم بان البدو ايضا يزرعون وقد يرحلون عن زرعهم ثم يعودون اليه في موسم الحصاد - لتتصور فريقا من هؤلاء العرب الزراع يستعملون كلمة (حصد) بمعنى القطف اطلاقا ، ثم لتتصور فريقا آخر من العرب حل بينهم ممن يستعملون كلمة قطع نفسها ، ثم اختلط الفريقان واستعمل الخليط منهما كلتا الكلمتين . فمن السهل عندئذ ان نتصور ان الفريق الطاريء سوف يظن ان كلمة (حصد) خاصة بمعنى قطع الزرع فيخصصها بهذا المعنى ويستعمل الكلمة الاخرى (قطف) لمعنى القطف بوجه عام .

ومثالا ثالثا لناخذ كلمة (خضد) ولننظر في تطور معانيها . فقبل كل شيء لقد زال من صيقتها

الاولية البسيطة معنى القطف وصار قولك « خضدت العود » يعني كسرتة . ويعني القطف في الصيفة المضغفة « خضدت الشيء » بتشديد الضاد : قطعته ، بتشديد الطاء ايضا . وقالوا « خضدت » بفتح الضاد كذلك بمعنى اكلت شيئا رطبا فيه صلابة كالجزر ، و « خضدت الشجر » : قطعت شوكه . و « تخضدت الثمار » : تشدخت ، ومن هنا صار (الخضد) - زنة البلد - يعني الضمور في الثمار لان هذا هو ما ينجم عن تخضدها .

فعلى هذين الفرارين - اللفظي والمعنوي تطورت الكلمات واختلفت معانيها . وان المرء لتدهشه كثرة الكلمات العربية التي ترجع في رسها الى (قط) ولاسيما منها تلك الكلمات التي لا يظهر انها تمت في معانيها باية صلة الى معنى القطف . فهل تصدق ان الفاظ الحضارة ، والعيش ، والخطيئة ، والقرض ، والرقم ، والقطار ، والخسران ، والبشرية .. كلها من اسرة لفوية واحدة وان اصل معانيها هو القطف ورس مبانيها الاول هو كلمة (قط) ، وانها كلها ليست الافرادات قليلات من الوف ؟

العيش :

قالت العرب العرباء منذ دهور سحيقة (قص) بمعنى (قط) كالذي المعنا اليه قبل ، ثم جاءت فئة منهم فقالت (قش) بنفس المعنى اولا ، وواضح من تتبع معانيها في المعجم انها اختصت بعد ذلك بقطع العشب اليابس ، ومنها نشأت (القش) . ثم نطقها قوم بالعين فصارت (عش) ومن ذلك قولهم (عشن الكلا) : يبس . ومن العش نشأ اسم العشب . ونطقها بعضهم بالحاء فصارت (حش) بمعنى قطع العشب ايضا ومنها (الحشيش) اي العشب اليابس ايضا ، ولو لم يكن مقطوعا . وصار اسم الحشيش يطلقه المتأخرون على المادة النباتية المخدرة المشهورة .

ولما كانت بعض الطيور ولاسيما العصافير تبني اوكارها من العشب والقش فقد عبروا عن قيام الطائر ببناء وكره بقولهم « عشن الطائر » ، ثم سموا الوكر (العش) .

ويظن المحدثون ان (عش الزوجية) - هو التعبير الجميل - من ابداعهم ، لكن التأمل اللغوي ينبئ ان الاقدمين قد سبقوا الى هذه الاستعارة واكثروا من استعمالها حتى خرجت من باب المجاز فأصبحت

حتى الآن ، بل باضافة حرف ثالث الى اولها احيانا ، وهو ما يسمى فى اللغة بالتصدير .. ومثال ذلك : نقط ورقط ونقص ..

ومن اخطاء النطق انهم حرفوا (رقط) فصارت رقتن ورقم . ويلاحظ ان (رقط) تشبه فى معناها كلا من نقط ورقم وقطر ، ومن ذلك قالوا (الارقم) بمعنى الثعبان الذي فيه سواد وبياض او اخبث الحيات ، والاصل على كل حال هو الارقط اي ذو الارقام اي النقط ، ومن ذلك قالوا « رقم الكتاب » بمعنى اعجمه بوضع النقط . ومثل ذلك الحية (الرطاء) اي المنقطة ، وكذلك (الرقشاء) .

اما (الرقم) وهو مقصودنا هنا ، الذي كان يعنى النقطة اول الامر والذي صار بعد ذلك يعنى وضع النقط على الكتابة فقد صار بعد ذلك يعنى الكتابة نفسها .

ومن معنى وضع النقط على الحروف تطور (الرقم) حتى صار يعنى العلامات التى ترسم دلالة على الاعداد من الواحد فصاعدا ، وجمعه (الارقام) . ومن ثم صار المحدثون يقولون «الرسالة المرقمة كذا» .

ونذكر استطرادا ان (النمرة) - زنة القدرة - ايضا تعنى النكتة من لون مختلف اي النقطة ، ومن ذلك كانت تسمية النمر . والطريف ان العرب اختاروا (الرقم) اي النقطة لمعنى العدد المكتوب بينما اختار الآريون (النمرة) اي النقطة ايضا لهذا المعنى :
numerus فى اللاتينية ، و numero
فى الايطالية ، و number فى الانكليزية ،
و nombre فى الفرنسية ..

وترسييس (الرقم) يمكن هكذا : قط - نقط - رقط - رقم .

ويمكن ان يكون هكذا ايضا : قط - قطر - رقط - رقم .

القـرـض :

وبعض الالفاظ الثنائية نشأت منها صيغ ثلاثية باضافة الحرف الثالث فى وسطها اي بين حرفيها ، وهو ما يسمى عند اللغويين بالحشو . ومن ذلك قط وقش وحض .. صارت قرط وقرش وحرض .

بمثابة الحقيقة - فيما نعتقد - فلذلك طوروا (عش) فاشتقوا منها فعل (عاش) .. وبذلك انتقل معنى العش والتعشيش الى العيش .

واذا اصر القارىء على ان يستبعد هذا التخريج فاننا ذكروا له ان كلمة (عش) لها فى المعجم العربي معان اخرى ابعد كثيرا عن معناها الاصلي المفقود الذى هو (حش) . ولا حاجة بنا الى الاطالة هنا بذكر تطورات تلك المعاني لكننا نذكر ان (العيش) ايضا يختلف معناه فى بعض الاستعمالات عن معناه الاصلي الذى هو الحياة . فالمصريون يعنون بالعيش فى لغتهم الدارجة (الخبز) ، حتى ان بعض الضعاف من كتابهم يستعملونها بمعنى الخبز فى كتاباتهم الفصحى . اما كبار الكتاب فيتحاشون ذلك ، مع انه فصيح . اعني ان استعمال العيش بمعنى الخبز ليس من صنع المصريين بل من صنع العرب الاوائل . ولا غرابة فى تسمية الخبز عيشا فهو مادة العيش ، وقديما قال البابليون « ان الخبز مادة الحياة » كما ورد فى ملحمة قلعحيش .

واما فى الفارسية فقد تطورت الكلمة على وتيرة اخرى فلفظة (عيش) العربية تعنى عندهم اللهو ، لهذا كثيرا ما يوردون الكلمة مقرونة بكلمة (طرب) فيقولون «عيش وطرب» . وقد اشتقوا منها (عياش) بمعنى المستهتر الخليع ، و(عياشي) بمعنى الاستهتار والخلاعة. وواضح ان الذين طوروا الكلمة فى فارس على هذا النحو هم من طبقة الباذخين الذين شعارهم ان « الحياة لعب ولهو » .

وبالنظر لكثرة اخوات قط وبناتها وشدة الشبه بينها يصعب معرفة خطة السير الذى سلكته الكلمة ابتداء من قط حتى عاش ، لانه بالامكان تسلسلها على اكثر من وجه واحد . فيمكن مثلا ان يكون مسارها هكذا : قط - قص - قش - خش - حش - عش - عاش .

ويمكن كذلك ان يكون هكذا : قط - خط - خد - خز - خص - خش - حش - عش - عاش .

ويمكن ان يكون على اي نحو آخر يؤثره القارىء البصير .

الرقم :

ان تطور قط واخواتها لم يكن دائما بطريقة الكسع اي اضافة حرف ثالث الى آخرها فقط كالذي رايناه

« عدا عليه » بمعنى اعتدى وتجاوز ، أي أنهم استولدوا معنى الخطأ من الخطو مثلما استولدوا معنى العدوان من العدو أي الرخص . ومن (الخطأ) نشأت (الخطيئة) بمعنى الذنب والمعصية .
وترسيسها هكذا : قط - خط - خطأ - خطوا
- خطيء ، خطأ ، خطيئة .

القطار :

كلمة عصرية ، بل بدوية في الحقيقة ، تعنى اليوم مركوبا حضاريا ضخما . وخلاصة قصتها ان (قط) انشأوا منها (قطر) ، لان قطرة الماء تفضل أي تنقطع من الوعاء الذي ترشح فيه وتسدلى في أسفله ، وتسقط . ومن معنى تتابع القطرات ما زلنا نقول « تقاطر المدعوون » . ومن هذا المعنى أيضا اطلق الاوائل البداة اسم (القطار) على قافلة الإبل التي تسير فيها الجمال متتابعة كأنها القطرات - الكبيرة - وكل منها (مقطور) الى الجمل الذي يتقدمه ، في سلسلة طويلة ، ومن ذلك جاء قولهم « قطرت البعير الى البعير » . وعند اتصال معنى القطر بالبعير أي عندما صار المعنى بعيريا صار يطلق على بعض شؤون البعير ليست لها اية علاقة بمعنى القطع او القطر . ومن ذلك قولهم « قطر البعير » بمعنى طلاه بالقطران ، أي ان لفظ (القطران) أيضا وهو الزفت مشتق من القطرة .

وفي عهد بداية الترجمة عن اللغات الاوربية صادف أحد المترجمين المصريين تعبير (chemin de fer) في الفرنسية أي طريق الحديد فما كان منه الا ان ترجمه (سكة الحديد) . وانما افترضنا ان المترجم كان مصريا لان المصريين هم الذين ما يزالون يسمون الطريق (سكة) وهي فصيحة وميحة . لكن الكلمة تصدرت لمترجم آخر - مصري او غير مصري - ربما بصيغة train الانكليزية والفرنسية معا ، فبحث لها عن كلمة عربية مناسبة فقفز ذهنه قفزة بارعة الى (قطار الإبل) فكان منه ان سمي هذه المطية العصرية الاعجوبة - يومئذ - (قطارا) ، ومنه صاغوا القاطرة والمقطورة .

ترسيسها اذن هكذا : قط - قط - قطرة ، قطار .

وربما هكذا : قط - رقط - قطر ..

ومعنى (قرط) هو القطع أيضا ، ثم نطقها بعضهم (قرض) بمعناها ، ثم تفرعت منها معان اخرى احدها « اقترضه مالا » بمعنى اسلفته ، وكأنما قصدوا اقطعته من مالك اول الامر ثم اختصت الكلمة بمعنى العطية الموقته من المال بقصد اعادته الى المقرض وترسيسها : قط - قرط - قرض .

الخسران :

كذلك اخطأوا في نطق (قص) فقالوا (خص) بمعنى القطع اول الامر فيما نعتقد ثم صار (الاختصاص) بالشيء يعني التفرد به سببه قولهم أقطعهم السلطان أرضا بمعنى اعطاه اياها فصارت (خاصة) به . ومنها (الخصية) - ولا حياء في العلم . وتظهر الكلمة في اللاتينية بصيغة castro يخصي ، ومن هذه في الانكليزية castrate بمعناها .

وبالرغم من ان (خص) صارت تعني الاقتصار على شيء ما فان معناها الاصلي أي القطع انتقل الى بنتها (خس) التي صارت تعني نقص وزنا او قدرا ، ثم صارت تعني على المجاز : رذل وهان . وما زال المصريون يقولون « خس الشخص » بمعنى نقص وزنه وهزل . ومن (خس) نشأت كلمة : خسر خسارة وخسرانا .

وترسيسها : قط - قص - خص - خس -

الخطيئة :

قالوا : قط ، ثم قد ، ثم خد وخذد ، ومن ذلك الاخذود الشق في الارض او الحفرة المستطيلة . ومن (خد) نشأ فعل (خط) بنفس المعنى اولا ثم تعددت المعاني وتوالد بعضها من بعض على العادة . وقالوا « خطت الريح الرمل » أي جعلت فيه طرائق مستطيلة متموجة . وبالمعنى الحضاري صار (الخط) يعني رسم الكتابة أيضا . ومنه (التخطيط) أي رسم (الخط) .

ومن (خط) نشأت صيغة (خطا يخطو) أي مشى يمشي . ومن (الخطو) نشأ (انطأ) - بالهمزة - بمعنى الفاظ ، وشبيه بذلك قولهم

الحضارة :

تعني القريب أي الموجود وصارت ضد (البادي) الثاني البائن . ومن هنا اطلق ابن المدينة اسم (البدو) على البعيدين عنه من الناس في الصحراء كما اطلق اسم (الحضرة) على الادين المقيمين معه في المدينة . ومن (الحضرة) بمعناها هذا القديم صيغت (الحضارة) بمعناها هذا الحديث .

قط - قطم - قضم - خضم - خضر - حضر ، حضارة .

البشرية :

ان فعل (قشر) يمكن ان يكون أثله قرش او قش . وايا ما كانت الحال فان بعضهم نطقوه بشر يشر ، بنفس المعنى أي ازالة القشر او الجلد . وصارت (البشرية) - زنة البقرة - تطلق اخيرا على جلد الانسان خاصة مع انها في الاصل كانت تعني جلد الحيوان الذي يقشرونه أي يسلخونه . وجمع البشرية هو (البشر) - زنة القمر - وقد تخصصت هذه الصفة الاخيرة بجنس بني آدم ، ومنه صيغت البشرية بمعناها الخطير . أفليس طريقا اشتقاق اسم البشرية من سلخ جلد الحيوان ؟

قط - قص - قش - قشر - بشر - البشر ، البشرية .

— * —

واضح اذن اننا مدينون بلفتنا العظيمة لتلك الاخطاء التي شوهت النطق فتكونت منها الالفاظ ، وحرقت المعاني لسوء الفهم غالبا او بقصد الاستعارة والمجاز احيانا فتكاثرت المعاني وتفرع بعضها من بعض حتى ترامت ابعادها . ومن هذا وهذا ظهر الى الوجود هذا المعجم العربي الغد، الذي لا يمثل مع عظمتة سوى جزء يسير من اللغة العربية التي اندثر اكثرها .

وانه لجدير بالتساؤل كيف ياترى كان في مستطاع البشر تكوين لغتهم لولا هذه الاخطاء، أي لو انهم نطقوا الالفاظ البدائية القليلة كما هي دون تشويه لفظ او تحريف معنى ؟ اظننا لولا هاته الاغلاط الخلاقة لكنا الآن ما نزال في المراحل اللغوية الاولى ولكانت حضارتنا من ثم في احد اطوارها البدائية .

على جلاله قدرها اجتازت في تطورها بعض المراحل المأسوية المحزنة . واليكم البيان : فمن (قط) نشأ كما قلنا صيغ قطم وقضم وخضم وخضد .. ونضيف اليها الآن : خضر .

اما خضد فقد قلنا ان اصل معناها القطع وانه بقي من ذلك قولهم « خضد الشجر » : قطع شوكه ، و (خضد) بالتشديد : قطع ، بالتشديد ايضا .

واما (خضر) فقد كانت تعني القطع ايضا اول الامر ثم قالوا من مادتها « اختضر العشب » بمعنى قصه وهو اخضر . ومن هذا المعنى نشأت كلمة (خضل) بمعنى ندي وابتل لان ذلك شأن العشب وهو اخضر . ومن هذا انبثق معنى (الخضرة) اللون المعروف المتكون من مزج الصفرة بالزرقة .

ومن (خضر) بمعناها اللوني نشأ فعل (خضب) بمعنى الخضرة اولا بدليل قولهم « اخضوضب الشجر » بمعنى اخضر واخضوضر ، ثم صار قولك « خضبت الشيء » يعني لونه بالخضرة او أي لون آخر، وصار (الخضاب) يطلق على كل ما يخضب به ومن ذلك مثلا خضاب الشعر واللحية بالحناء او غيرها .

ومن تعبير « اختضر العشب » بمعنى قصه وهو اخضر استعاروا قولهم عنى المجاز « اختضرته النية » أي مات شابا ، كالنبت في ابان خضرته . واذا حذفوا الفاعل اوردوا الفعل مبنيا للمجهول فقالوا (اختضر) . ثم كان من بعضهم ان نطقوها بالخاء المهملة فقالوا (اختضر يحتضر فهو محتضر) بصيغة المجهولية ايضا . لكن هذه الصيغة الحائية اصابها تطور في المبنى وتطوران في المعنى . اما في المبنى فلم يعودوا يقولون اليوم اختضرته النية ، بل حضرته النية او الوفاة . واما في المعنى فأول التطورين هو أن (الاحتضار) لم يعد يعني الوفاة بل قرب الوفاة ، وثانيهما هو ان (لاحتضار) ليس خاصا بالشباب بل عاما يشمل كل الاعمار .

ولكثر ما قالوا « حضرته النية او حضره الموت » صارت الاجيال التالية تظن المقصود ان الموت دنا منه او جاءه ، ومن ذلك صارت صيغة (الحاضر)